



المباني الفلسفية لمبحث الصفات الإلهية في الفكر الإسلامي (العلامة الحلي نموذجاً)

محمد حمزة إبراهيم

١- جامعة بابل / كلية العلوم الإسلامية / قسم علوم القرآن، العراق؛ mm770064@yahoo.com
دكتوراه في علوم القرآن / أستاذ مساعد

ملخص البحث:

مبحث الصفات الإلهية من المباحث الأساسية في علم الكلام الإسلامي؛ فقد وقع جدل وخلاف بين المتكلمين في تفسير هذه الصفات وبيان علاقتها بالذات الإلهية، كما أن المناهج الكلامية اختلفت في معالجتها لهذا الموضوع، وفي هذا البحث سوف نقف عند التداخل الفلسفي الكلامي، في مسألة الصفات الإلهية، ونرصد الأسس الفلسفية، وأثرها في تشكيل الرؤية الكلامية لهذا الموضوع، كما ظهرت في فكر العلامة الحلي.

فقد حرص علماء الكلام الذين حملوا راية الدفاع عن العقائد بالحجاج والجدل، على استعمال الأدلة العقلية والتعمق في تحليلها، بل أن بعضهم أبدى براعة منقطعة النظير، في ميدان العقلية وخاصة في المراحل المتأخرة من علم الكلام، الذي تداخلت فيه المباني الفلسفية والكلامية في نسيج واحد، شكل المنظومة الاستدلالية لعلم الكلام الفلسفي.

وهذا البحث يسلط الضوء على المنطلقات الفلسفية لإثبات وجود الله تعالى وتحليل علاقة صفاته وفعاله بذاته تعالى بحسب القواعد البرهانية الفلسفية.

تاريخ الاستلام:

٢٠١٩/١٠/١٠

تاريخ القبول:

٢٠٢٠/٢/١٦

تاريخ النشر:

٢٠٢٣/٦/٣٠

الكلمات المفتاحية:

المباني الفلسفية، الصفات الإلهية، العلامة الحلي، المنطلقات الفلسفية

السنة (١٢) - المجلد (١٢)

العدد (٤٦)

ذو الحجة ١٤٤٤ هـ

حزيران ٢٠٢٣ م

DOI:
10.55568/amd.v12i46.107-130



Philosophical Evidences in Searching for Divine Traits in Islamic Mind (The Scholar Al-Halli as a Nonpareil)

Muhammad Hamza Ibrahim¹

1-University of Babylon / College of Islamic Sciences / Dept. of Quranic Sciences
Iraq; mm770064@yahoo.com
PhD in Quran Sciences/ Assistant Professor

Received:

10/10/2019

Accepted:

16/2/2020

Published:

30/6/2023

Keywords:

philosophical premises, divine attributes, Allama "scientist" al-Hilli, philosophical premises.

Al-Ameed Journal

Year(12)-Volume(12)
Issue (46)

Dhu al-Hijjah 1444 AH
June 2023 AD

DOI:

10.55568/amd.v12i46.107-130

Abstract

The topic of divine attributes is one of the basic topics in the science of Islamic theology, as there has been a controversy and disagreement among theologians in interpreting these attributes and explaining their relationship to the divine essence. The current study is to monitor the philosophical foundations and their impact on shaping the theological vision of such a subject, as it appeared in the thought of the scientist Al-Hilli.

The scholars of theology, who carried the banner of defending beliefs with evidences and argumentations, were keen to use rational evidence and delve deeper into their analysis. Indeed, some of them showed unparalleled ingenuity in the field of rationalities, especially in the late stages of theology, in which philosophical and rhetorical structures intertwined in one fabric to form the inferential system of philosophical theology.

This research sheds light on the philosophical points to prove the existence of Allah Almighty and analyzes the relationship of His attributes and actions to Himself, the Almighty, according to the demonstrative and philosophical rules.



المقدمة

تعد العقيدة من أبرز محددات هوية الانسان المعرفية، والاخلاقية، والاجتماعية، ولطبيعة الصبغة العقلية لموضوعاتها، صارت من أخصب الحقول التي نشط فيها العقل الاسلامي، الذي اجتهد في تأييدها والدفاع عنها، بأدلة بعضها منقول من منجز عقلي سابق، وأغلبها تأسيس وإبداع لعلماء المسلمين، ولذا حرص علماء الكلام الذين حملوا راية الدفاع عن العقائد بالحجاج والجدل، على استعمال الأدلة العقلية والتعمق في تحليلها، بل إن بعضهم أبدى براعة منقطعة النظر، في ميدان العقلية وخاصة في المراحل المتأخرة من علم الكلام، الذي تداخلت فيه المباني الفلسفية والكلامية في نسيج واحد، شكل المنظومة الاستدلالية لعلم الكلام الفلسفي، وخاصة إذا لحظنا حالة الحجاج والجدل بين المتكلمين أنفسهم، أو بين المتكلمين والفلاسفة، اذ يتعمق هنا الاختلاف ليصل إلى المناهج والمباني والأسس، غير أن هذه الاختلافات شحذت من قابلية العقل الاسلامي، وأعطته قدرة عالية على المحاجة والتحليل والنقد.

ومما عزز قابلية العقل الاسلامي الاستدلالية، التداخل في حقول المعرفة الاسلامية، وقابلية توظيف المعطيات المعرفية من حقل معين إلى حقول اخرى تتقارب معها في بعض الخصوصيات، مثل بعض حالات التداخل بين الفلسفة والكلام وأصول الفقه، بوصفها علوما ذات بنية عقلية، فقد توظف بعض الأصول الفلسفية في المباحث الكلامية والاصولية، كما قد توظف المباحث الكلامية في أصول الفقه.

والعلامة الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي (٧٢٦هـ)، أحد الأساطين الذين مثلوا هذا التداخل في العلوم العقلية، ووظفوها ببراعة في المباحث العقديّة، سواء في أصول العقائد، أو فروعها، ولوازمها ومتعلقاتها، مثل مسائل الحسن والقبح، ومباحث النفس، والجسم والحركة وغيرها، مما يدخل ضمن المباحث الفلسفية والكلامية، ليؤسس لنقد بعض الافكار أو تأييدها، كما يتجلى ذلك واضحا في الكتب والمباحث الكلامية للعلامة، وخاصة في مبحث إثبات الذات الالهية وصفاتها، وما يتفرع عليها من مسائل وهي كثيرة، فيخوض العلامة في النقد والتحليل والمقارنة والمقاربة، مستعينا باطلاعه العميق على العلوم العقلية، من منطق وفلسفة وكلام، وبعقلية فذة ونظر ثاقب، يمكنه من سهولة غربلة أفكار الاكابر، وتمييز قويا من ضعيفها، ومتينها من هزيلها.

وفي هذا البحث سوف نقف عند التداخل الفلسفي الكلامي، في موضوع الصفات الالهية، ونرصد المباني الفلسفية، وأثرها في تشكيل الرؤية الكلامية لهذا الموضوع، كما بدت في فكر العلامة.

المطلب الأول: تطور العلاقة ما بين علم الكلام والفلسفة

علم الكلام، علم اسلامي اعتمد العقل أداة في المحاجة والاستدلال، مع محاولة الالتزام بضوابط النص، على الرغم من الاختلاف في حدود هذه الضوابط بحسب اختلاف مناهج المدارس الكلامية، ما بين مرجح لكفة النص وآخر مرجح لكفة العقل، ولكن يبقى النص هو الإطار الذي يتحرك في ضمن حدوده المتكلم، فهو المرجع والغاية عند المتكلم، واجتهاده ينطلق من النص ويسوغ لمرامي النص.

وحتى عندما يتعسف المتكلم في تأويل النصوص، فهو يبقى في اسارها، ولا يستطيع الافلات منها، لأنه ينظر للآيات التي يقع عليها نشاطه التأويلي، على انها استثناء يتعارض مع الروح العامة للنص، ولذا فعملية التأويل عبارة عن تطويع لهذه المفردات، ومحاولة لرفع التناقض عنها، فالنشاط العقلي عند المتكلم في هذه الحالة هو لكشف مغاليت النص ورفع التعارض الظاهري فيه، طالما أن النص فيه متسع لهذا النشاط التأويلي.

اما الفلسفة فتنتقل من العقل وتنتهي إلى أحكامه، وقد يعمل الفيلسوف المسلم على التوفيق بين أحكامها وأحكام النص، ولكنه مع ذلك لا يدعي أن مرجعيته النص أو انه يحتكم اليه، وفي الحالات التي يدعن فيها الفيلسوف لحكم النص على حساب راي العقل - كما حصل مع ابن سينا في مسألة المعاد الجسماني - في هذه الحالات بالذات يكون قد وقع في منطقة الكلام وكف عن أن يكون فيلسوفاً، وبسبب هذا التداخل اتهم فيلسوف قرطبة ابن رشد ابن سينا بانه عالج العديد من المسائل كمتكلم وليس كفيلسوف، ومن هذا المنطلق أيضا قد تعدد الفلسفة الاسلامية وعلم الكلام حقلا واحداً، عند من يذهب إلى هذا الرأي.

ولعل التقارب في الاتجاه بين الفلاسفة والمتكلمين، وهو هنا الاتجاه العقلي، قد يسر حالة التأثير والتأثير بين الحقلين، فعلى الرغم من حرص الفلاسفة المسلمين على استعمال البرهان العقلي، وسعيهم

لتجنب الأسلوب الجدلي، فانهم لم يكونوا بمعزل من أمواج الأفكار الجدلية لبعض المتكلمين^١، فقد خاض أغلب فلاسفة الاسلام بطريقة أو بأخرى في علم الكلام، فكان أن اقتبسوا منه جملة من المقولات والقضايا والمبادئ، لاسيما أن الحاجة كانت تدعو إلى إيجاد أساس عقدي للبناء الفلسفي، تنحسم به المصادمة بين مبادئ الحكمة وأصول الشريعة^٢، فتقارب الفلسفة من الكلام جاء في سياق محاولات الفلاسفة التوفيق بين الدين والعقل، وكانت هذه اشكالية كبرى في الفلسفة الاسلامية، بُدلت فيها جهود جبارة، لتقليص الهوة أو حتى ردمها ما بين الطريقتين، طريق العقل وطريق الشرع. ومن جهة اخرى فان تهمس بعض المتكلمين للفكر الاستدلالي دفعهم الى اعتماد عدد من المقدمات العقلية في أدلتهم^٣، وهذا الامر سيكون له تأثيره البالغ في نضج البحث الكلامي وتطوير ادواته لاحقاً.

أن تطور علاقة الكلام بالفلسفة مرت متدرجة، وشهدت محطات مهمة، إلا أن بعضها شكل نقاط تحول في هذه العلاقة، ومن هذه المحطات فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، الذي (كان فيلسوفا متكلماً مارس الكلام في الفلسفة، وقد فعل ذلك في كتاب "المباحث المشرقية" خاصة، وكان متكلماً فيلسوفاً مارس الفلسفة في الكلام كما يتجلى بوضوح في كتابه "المحصل"^٤، والمحطة الأساسية الأخرى في تطور هذه العلاقة جاءت مع نصير الدين الطوسي (٦٧٢هـ)، فقد تلاحم علم الكلام مع الفلسفة، وقد تجل ذلك في اشتباك مشكلات علم الكلام مع مشكلات الفلسفة، كما نلاحظ ذلك في كتابه "تجريد الاعتقاد"، فصار علم الكلام يتجه إلى طلب الحلول الفلسفية لمشكلاته^٥، فالطوسي (قد التزم منذ بداية كتابه "التجريد" ببحث موضوعات الامور العامة، تلك الموضوعات التي استخدمها الفلاسفة في حديثهم عن واجب الوجود... إذ نجد أن هذه المفاهيم الفلسفية، قد صببت تماماً في مجرى علم الكلام الإسلامي بعد القرن السادس الهجري)^٦، فظهر تأثير

١ ديناني، غلام حسين، حركة الفكر الفلسفي في العالم الإسلامي، ط ٢ (بيروت، لبنان: دار الهادي، ٢٠٠٨م)، الجزء الاول ١٩.

٢ عبد الرحمن، طه. تجديد المنهج في تقويم التراث، ط ٣ (بيروت، لبنان: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٧م)، ١٤٢.

٣ ديناني، حركة الفكر الفلسفي في العالم الإسلامي، الجزء الأول ٧٥.

٤ المدن، علي. تطور علم الكلام الإمامي، د.ط. (بغداد: مركز دراسات فلسفة الدين، ٢٠١٠م)، ١٠٩.

٥ الجابري، محمد عابد، بنية العقل العربي، ط ٩ (بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٩م)، ٤٩٧.

٦ سليمان، عباس محمد حسن، الصلة بين علم الكلام والفلسفة في الفكر الإسلامي، د.ط. (دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨م)، ١١٣.

٧ سليمان، ١٢٠.

واضح للطوسي عبر كتابه "التجريد" في عضد الدين الايجي (ت ٧٥٦) صاحب "مواقف الكلام"، وسعد الدين التفتازاني (٧٩٢هـ)، صاحب "غاية تهذيب الكلام في تحرير المنطق والكلام"، الذي تولى شرح قسم المنطق منه، المولى عبد الله بن شهاب الدين اليزدي^٨.

وأثر الطوسي كثيرا في المدرسة الحلية، فمن مميزات هذه المدرسة طبيعة التحول الكبير الذي سوف يطرأ على المنهج العقائدي الموروث، والتغيير في آلياته وأدواته وأهم مفاهيمه، اذ سيرز في هذه المدرسة^٩ (جيل من المتكلمين الإماميين ذو تكوين جديد ومختلف عن اسلافه، تكوين ذو طابع منطقي - فلسفي)^{١٠}، وبرز من مثل هذا الاتجاه هو العلامة الحلي، فهو الوريث الحقيقي لمدرسة أستاذه الطوسي، في تضلعه بالفلسفة وتوظيفها لمباحثه العقائدية، اذ تداخلت العناصر الفلسفية والكلامية في فكر العلامة الحلي، ويأتي هذا التداخل توخيا للدقة وطلبا لسلامة الدليل، فالمطالب الفكرية الدقيقة والعميقة في مباحث الإلهيات بشقيها الأعم والأخص، تقتضي تارة ترجيح مقدمات ومبان فلسفية عندما تلوح ثغرات واضحة في المباني الكلامية، وأخرى تميل مع كفة المباني الكلامية بالضد من الفلسفية، عندما يشم من هذه الأخيرة بعض اللوازم الفاسدة.

وفي النهاية توظف كل هذه المنظومة العقلية - كلامية وفلسفية - للعقيدة الصحيحة باعتبار أن العلامة الحلي ينخرط في سلك المتكلمين ودوافعه وغاياته دينية لا غبار عليها.

ولعل الوقوف عند المباني الفلسفية في فكر العلامة الحلي، يكشف عن مدى استفادته من الفلسفة في ترصين منظومته الكلامية وتحويل العلاقة ما بين الفلسفة والكلام من طابعها السجالي، إلى علاقة تكاملية تنتظم فيها العناصر الفلسفية والكلامية ضمن أنساق استدلالية مشيدة البناء الفكري المحكم للعلامة الحلي، فقد (قرب علم الكلام من الفلسفة، وجر المفاهيم الفلسفية للقواعد الكلامية)، فالعلامة خبير بتوظيف الآراء الفلسفية، عالم بمواطن الحاجة إليها، ولذا نجده لا يتردد في نقد الافكار الفلسفية، عند معارضتها للعقيدة بحسب رؤيته، أو عندما يلمس فيها قصورا أو ضعفا.

غير أن البحث هنا ينصب على التوظيف الإيجابي للفكر الفلسفي، في المنظومة العقيدية للعلامة

الحلي، ويرجى البحث نقده لبعض الافكار الفلسفية، لمناسبة اخرى.

٨ الجابري، علي حسن. الفكر السلفي عن الشيعة الاثنا عشرية، ط ٣ (بيروت، لبنان: دار السلام، ٢٠١٥م)، ٣١٢.

٩ المدن، تطور علم الكلام الإمامي، ١٦٥.

١٠ المدن، ١٧٣.

المطلب الثاني: وجود الله سبحانه

من أوائل المسائل التي اهتم بها المتكلمون، وأهمها على الإطلاق هي مسألة وجود الله تعالى وصفاته، لمكانتها المركزية في العقيدة، لذا اجتهدوا في إثبات هذا المبدأ ودفع الشبهات التي يمكن أن يوردها المعترضون والمشككون، وقد اعتمد المتكلمون عدة أدلة تتفاوت في قوتها ومتانتها، منها ما يستند إلى مبان كلامية وأخرى إلى مبان فلسفية، والعلامة الخلي بوصفه متكلماً ضليعاً بمسائل الفلسفة ومباحثها حضر عنده هذا البعد في معالجته الكلامية.

فمسألة وجود الله تعالى على مستوى التحقيق العقلي غير منفصلة عن المباحث العامة للوجود، لأن الله تعالى هو صرف الوجود، وبداية لا بد من الإشارة إلى أن مفهوم الوجود من الوضوح بمكان لدرجة يتعذر معها تعريفه، لأن (كلما كان أعم كان علمنا به اتم)^{١١}، ومفهوم الوجود أعم المفاهيم، فلا يوجد شيء في الذهن أوضح من مفهوم الوجود يمكن أن نستعين به في توضيح معنى الوجود^{١٢}، فهو مفهوم واحد بسيط، وتحققه أمر بديهي لا يمكن إثباته برهان أو دليل.

ويؤسس الفلاسفة على هذه الحقيقة فكرة تقسيم الوجود إلى واجب وممكن ف (العقل يحكم حكماً ضرورياً بان الموجود إما أن يكون مستغنياً عن غيره أو يكون محتاجاً، والأول واجب والثاني ممكن، وهذه القسمة ضرورية لا يفتقر فيها إلى برهان)^{١٣}، وهذا التقسيم سيكون من امتن الأدلة على وجود الباري سبحانه، فواجب الوجود لذاته هو القائم بذاته المستغني عن غيره، إما ممكن الوجود فهو ما احتاج إلى غيره^{١٤}، وبعبارة أخرى، الواجب ما استغنى عن العلة والممكن ما افتقر إلى العلة في إيجاد^{١٥}، إلا إن هذا الممكن بنفسه يصير واجبا بغيره إذا اقترن بعلة أو جدته، (فالواجب إما إن يكون واجبا لذاته، وهو الله تعالى لا غير، وأما إن يكون واجبا لغيره، وهو كل ممكن اتصف بالوجود)^{١٦}، وتمشياً مع هذه المقدمات يكون وجود الله تعالى واضحاً وضوح حقيقة الوجود، يقول

١١ دبناني، غلام حسين، القواعد الفلسفية، تحقيق. عبد الرحمن العلوي، د.ط. (منشورات الزهراء، ١٤٣٠هـ)، الجزء الأول ٤٥.
١٢ الخلي، الحسن بن يوسف، نهاية المرام في علم الكلام، تحقيق. فاضل العرفان، ط ٢ (قم، إيران: مؤسسة الامام الصادق، ١٤٣٠هـ)، الجزء الأول، ١٩٤.

١٣ الخلي، الحسن بن يوسف، كشف المراد، تحقيق. حسن زاده املي، ط ١٥ (إيران: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٣٥هـ)، ١١١.

١٤ الخلي، كشف المراد. ٦٦.

١٥ الخلي، كشف المراد. ٧٩.

١٦ الخلي، نهاية المرام في علم الكلام، الجزء الأول ٩٥.

العلامة الحلي: (إن هاهنا موجودا بالضرورة فهو إما واجب أو ممكن، فإن كان الأول فهو المطلوب، وإن كان الثاني فلا بد له من مؤثر، فيما أن يدور أو يتسلسل وهما باطلان، أو ينتهي إلى الواجب، وهذه الطريقة هي أشرف الطرق وأمتنها وهي طريقة الأوائل)^{١٧}.

نجد هنا أن برهان الإمكان يستند إلى امتناع الدور والتسلسل، وهما دليلان فلسفيان تحكم بهما الضرورة العقلية، وقد اعتمد عليهما أكابر الفلاسفة في إثبات العديد من المطالب الفلسفية^{١٨ ١٩}، فتسلسل العلل إلى ما لانهاية محال، كما أن اعتماد المعلولات على بعضها محال أيضا، كأن تصير تارة علة، وتارة أخرى هي عينها تكون معلولة لمعلولها الذي يصير بدوره علة لها^{٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤} *.

وبمراجعة الأدلة الكلامية مثل دليل الحدوث نجد في التحليل العقلي يستند إلى أسس فلسفية مثل استحالة الدور والتسلسل، وامتناع الاستغناء بالذات في الممكنات من دون علة.

فعند تحليل استدلالنا بأن لكل حادث محدثاً، والعالم حادث فلا بد له من محدث، نجد أن هذا الدليل يستند إلى فكرة أن المحدود - وهو هنا الحادث - محتاج إلى علة تضيئي عليه الوجود والكمال، ولا يمكن أن تكون علته فقيرة، وإلا لاحتاجت بدورها إلى علة وهكذا باستمرار، إلا أن ننتهي إلى علة تامة الوجود وهي هنا الواجب، فنجد أن دليل الحدوث احوالنا إلى فكرة واجب الوجود من جديد.

نخلص من ذلك أن كل الأدلة العقلية ترجع إلى بنية فلسفية في العمق، ولذا عندما يقدم المتكلمون إجابات لبعض المسائل العقلية يتجاوزون فيها البنية الفلسفية البرهانية، يقعون في إشكالات عديدة، ومن أمثلة ذلك تفسيرهم لسر احتياج المعلول إلى علته كما سيأتي في قابل البحث.

ووفقا لبعض المباني الفلسفية فإن السير في الاستدلال من العلة إلى المعلول هو أتم من السير العكسي من المعلول إلى العلة، ويرى الفلاسفة أن هذا الاستدلال هو أنسب بشرف العلة الأولى،

١٧ الحلي، الحسن بن يوسف، مناهج اليقين في أصول الدين، تحقيق. قسم الكلام في مجمع البحوث الإسلامية، ط٢ (قم، ١٤٣٠هـ)، ٢٢١.
 ١٨ ديناني، القواعد الفلسفية، الجزء الثاني ١٣٥-١٤٣ و ١٩٥-١٩٨.
 ١٩ ديناني، حركة الفكر الفلسفي في العالم الإسلامي، الجزء الثاني ٤٩٨.
 ٢٠ الحلي، مناهج اليقين في أصول الدين، ٢٢٠ و الباب الحادي عشر ٨-٩.
 ٢١ ابن سينا، الحسين بن علي، الاشارات والتنبيهات، تحقيق. سليمان دنيا، ط٣ (مصر: دار المعارف، ١٩٨٥م)، ٢١.
 ٢٢ ديناني، القواعد الفلسفية، الجزء الأول ١٩٥.
 ٢٣ ديناني، حركة الفكر الفلسفي في العالم الإسلامي، الجزء الثاني ٤٩٨.
 ٢٤ الأبيحي، عبد الرحمن عضد الدين، المواقف في علم الكلام، د.ط. (بيروت، لبنان: عالم الكتب، د.ت) ٩٠.
 * بخصوص دحض فكري الدور والتسلسل وبيان فسادهما، ينظر الهامش ٢٠

ويذكر العلامة الحلي ان (الممكن في الخارج لا بد له من سبب لا متنازع اقتضاء ذاته ترجيح احد الطرفين، وإلا لخرج عن كونه ممكنا، كان العلم به يحصل بواسطة العلم بسببه... وهذا هو اليقين التام، فثبت أن العلم بوجود ذوات المبادئ إنما يحصل من مبادئها)^{٢٥ ٢٦*}، بالإضافة إلى انه منسجم مع العديد من الآيات القرآنية التي تشير إلى سمو مقام الله، يقول تعالى: (شهد الله انه لا اله إلا هو)ال عمران/ ١٨، ويقول: (قل أي شيء أكبر شهادة قل الله) الإنعام/ ١٩، ويقول: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) فصلت/ ٥٣. فالمرتبة الأولى في الاستدلال هي مرتبة القاصرين والثانية وهي الاستدلال به على الكل هي مرتبة الصديقين^{٢٧}.

ومما يميز الاستدلال بالعلة على المعلول أيضا، أن العلم بمعلول معين لا يقتضي العلم بعلة معينة وإنما يقتضي علة مطلقا، وعليه فان إمكان العالم واحتياجه إلى علة مطلقا لا يخص هذه العلة بالله تعالى للوهلة الأولى، وإنما خصصناها به تعالى؛ لأن له سبحانه كل أحكام واجب الوجود ولوازمه، أما العلم بالعلة المعينة فانه يقتضي العلم بمعلول معين، يقول العلامة: (المعلول المعين يقتضي علة مطلقة، لكن العلة المعينة تقتضي معلولا معينا، فتعين تلك العلة لذلك المعلول ليس لأجل اقتضاء المعلول لها بل لأجل اقتضاءها لذلك المعلول)^{٢٨ ٢٩}، فالعلم بالله تعالى يقتضي العلم بأفعاله.

بقي شيء وهو: كيف تأتي لنا جعل حكم العقل الضروري في وجوب الوجود ولوازمه، معبرا عن وجود الله تعالى وأهم صفاته؟، وبأي مسوغ عقلي نطبق أحكام الوجود الواجب فلسفيا على الله تعالى؟ في الواقع أن المسألة هنا ليست مسألة تطبيق، وإنما هي حقيقة واحدة يعبر عنها بلسان الفلسفة بواجب الوجود، ولسان الشرع والاديان "الله" تعالى فان (براهين إثبات واجب الوجود بالذات تثبت واقعية مستقلة، وشيئا ضروري الوجود، وازليا غير مشروط في وجوده باي شرط على

٢٥ الحلي، نهاية المرام في علم الكلام، الجزء الثاني ١٩١.

٢٦ ديناني، القواعد الفلسفية، الجزء الثاني ٢٩٥.

٢٧ الحلي، نهاية المرام في علم الكلام، الجزء الثاني ١٩٣.

٢٨ الحلي، الجزء الثاني ١٩٠.

٢٩ الرازي، المباحث الشرعية، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، ط ١ (قم، ١٤٢٨هـ)، الجزء الأول ٤٧٧.

*ايضا عن العلم بالعلة يوجب العلم بالمعلول ينظر الهامش ٢٦

الإطلاق)^{٣٠}، وهذا الوجود المطلق غير المشروط هو كذلك في جميع صفاته الكمالية الثابتة له^{٣١}، وهي نفسها صفات الحق سبحانه وتعالى، (فحيث ذات الحق وجود محض اذن هي كمال محض)^{٣٢}.

تبين مما تقدم مدى الإحكام النظري الذي تضيفه الأدلة والمباني الفلسفية، في مبحث إثبات الخالق سبحانه، ولذا فان تبني المحققين من المتكلمين لهذه الادلة، يأتي لدرائتهم بعمق ومتانة هذه المباني، التي باعتمادها يمكن تلافي بعض المناطق الهشة في الاستدلالات الكلامية، التي يعتمد بعضها على المشهورات، كما أن الكثير من الشبهات ذات مناشيء اجتماعية واعتبارية، والاستعانة بالدليل الفلسفي يقطع الطريق أمام هذا النوع من الشبهات؛ لاستناده إلى بنية برهانية متمسكة منطقياً، لا تدع مجالاً لتسرب الشك والشبهة، إلا باعتماد المغالطة، وهي ليست من دأب المحصلين وطالبي الحق والباحثين عنه.

المطلب الثالث: صفات الحق تعالى

الإثبات العقلي لصفات الحق سبحانه وتعالى يستند إلى عدة ادلة فلسفية، فضلاً عن الكلامية، ومن الناحية الفلسفية، يمكن القول إن الفلاسفة استعانوا بعدة قواعد وأصول فلسفية لإثبات هذا المطلب، منها قاعدة "الإمكان الأشرف"^{٣٣}، وهي تقتضي (أن الموجود الاخص إذا وجد فلا بد أن يسبقه الموجود الاشرف)، وفيما يرتبط بموضوعنا، فان العلة المفيضة لشيء واجدة لحقيقة ذلك الشيء بنحو اعلى واشرف^{٣٤}، وبما أن ذاته المتعالية صرف الوجود الذي لا يحده حد، ولا يشذ عنه وجود ولا كمال وجودي، فما في تفاصيل الخلقة من كمال وجودي، موجود عنده بنحو أعلى وأشرف^{٣٥}، ولذا فكل صفات الكمال متحصلة عليها الذات الالهية على نحو يناسب سمو مقامها وعلو شأنها.

٣٠ عبوديت، عبد الرسول، النظام الفلسفي، تحقيق. علي الموسوي، ط١ (بيروت، لبنان: مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، ٢٠١٠م)، الجزء الثالث ٨١.

٣١ عبوديت، الجزء الثالث ٨٢.

٣٢ مطهري، مرتضى، اصول الفلسفة والمنهج الواقعي، تحقيق. عمار ابو رغيف، ط٣ (بيروت، لبنان: مؤسسة ام القرى، ١٤٢١هـ)، الجزء الثالث ٤٠١.

٣٣ ديناني، القواعد الفلسفية، الجزء الأول ٣٤.

٣٤ الموسوي. موسى. القواعد الفلسفية، د.ط. (بغداد: الدار العربية للطباعة، ١٩٧٨م)، ٤٦.

٣٥ الطباطبائي، محمد حسين، بداية الحكمة، تحقيق. عباس علي الزراعي السبزواري، د.ط. (مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٩هـ)، ٢٠٠.

٣٦ الطباطبائي، ٢٠٣.

هذا النوع من الاستدلال بعيد عن أساليب المتكلمين ومبانيهم، فهو لا ينطلق من نص أو مقدمات مشهورة، وإنما من تصور مراتبية الوجود، وترتب العلل والمعلولات فيه، فالموجود الاخس والاضعف لا بد أن يسبق بالآتم والأقوى، وإلا لجاز تقدم المعلول على علته، والممكن على الواجب، وهو محال، وعليه فكل مراتب الكمال في الممكنات، لا بد أن تكون موجودة بنحو آتم في الواجب، وإلا لصار مفتقرا إلى كمال من الكمالات.

وهذه القاعدة تثبت صفات الكمال للحق سبحانه بنحو الإجمال، أما الإثبات التفصيلي لهذه الصفات، فالمباني الفلسفية داعمة ومؤيدة لذلك أيضا، فمن الأصول الفلسفية في إثبات الصفات الالهية، هو تحليل نفس مفهوم الوجود الواجب، فلهذا المفهوم لوازم عقلية يستحيل انفكاكها عنه، وإلا لم يعد واجبا، واستحال إلى ممكن وهذا مرفوض بضرورة العقل.

ومن هذه اللوازم استحالة التركيب، فواجب الوجود بما هو واجب يستحيل عليه التركيب، فلو كان مركبا لافتقر إلى أجزائه، وصار معلولا لها، فينقلب إلى ممكن وقد فرضناه واجبا وهذا خلف^{٣٧ ٣٨ ٣٩}.

وكل صور التركيب منفية عن الواجب، حتى أبسطها وأوضحها مثل التركيب من ماهية ووجود، فهذه القسمة منفية عن الواجب، لأنها تقتضي المغايرة بين الماهية والوجود والأدلة عديدة على هذه المغايرة، فمثلا: أن المغايرة بيّنة من جهة فائدة الحمل فلا فائدة من الحمل إذا كانت الماهية نفس الوجود، فنقول مثلا ماهية موجودة، ولو كانت الماهية نفس الوجود لصار المعنى الماهية ماهية، وواضح عبث هذا الكلام، بالإضافة إلى أننا في إثبات الوجود للماهية نحتاج إلى دليل، ولو كانت الماهية نفس الوجود لثبت بذاتها ولم تحتاج إلى دليل إثبات^{٤٠}، وفي شأن الله تعالى، يقول العلامة الحلي بدليل مختصر: (ماهيته تعالى غير معلومة للبشر... والوجود معلوم ينتج من الشكل الثاني ان الماهية غير الوجود)^{٤١} ولذا انتفت هذه القسمة في الذات الواجبة لله تعالى فكان (الوجود نفس الماهية في حقه تعالى)^{٤٢ ٤٣}.

٣٧ الحلي، نهاية المرام في علم الكلام، الجزء الأول ٩٩.

٣٨ الحلي، كشف المراد، ٤٠٥.

٣٩ زايد، سعيد. الفارابي، سلسلة نوايغ الفكر العربي، ط٣ (مصر: دار المعارف، ٢٠٠١م)، ٨٥.

٤٠ الحلي، كشف المراد، ٣٨-٣٤.

٤١ الحلي. كشف المراد، ٩١.

٤٢ الحلي، كشف المراد. ٩١.

٤٣ الحلي، مناهج اليقين في اصول الدين، ٢٦٨.

ويمكن الاستدلال على نفي ماهية مغايرة للوجود في حق الله تعالى، بالقاعدة الفلسفية (أن كل ذي ماهية معلول)^{٤٤}،^{٤٥}، لأن كل ذي ماهية مركب وكل مركب ممكن وكل ممكن محتاج إلى علة. وفلسفياً نفي الماهية عن الله تعالى، تلزم عنه عدة نتائج لعل أهمها: أن نفي الماهية يثبت بساطة الذات الالهية، وعدم وجود جنس مشترك بينها وبين سائر الموجودات، ومنها: أن نفي الماهية عنه تعالى يكشف عن عدم قدرة العقل على معرفة كنه الذات المقدسة، لأن العقل يمكنه اكتناه الماهيات فقط، ومع نفي الماهية في حقه تعالى لا يمكن للعقل الوصول إلى الذات المقدسة^{٤٦}، وبناء على نفي الماهية عنه تعالى، فإن وصف الوجوب بذاته يكون منتزعا من حاق وجود الواجب تعالى، كاشفا عن كون وجوده بحثا في غاية الشدة، غير مشتمل على جهة عدمية^{٤٧}، فالبرهان العقلي يقضي باستحالة تركيب الواجب، وهي مقارنة فلسفية بحثة تستند إلى بداهة بعض التصورات، وتعتمد تحليل بعض المفاهيم العقلية، والوصول إلى نتائج ملزمة بحكم التحليل الفلسفي، لا تحاول الاستقواء بالنص الديني، وان التقت به في بعض نتائجها.

وبموجب التحليل المتقدم فإن واجب الوجود كما لا يقبل التركيب في ذاته، فهو لا يقبل التعدد أيضا، يقول العلامة الحلي: (الواجب لذاته لا يكون مشتركا بين اثنين، وإلا لزم تركيب كل واحد منهما لاشترائهما في الوجوب الذاتي، فيجب امتياز كل منهما عن صاحبه بأمر مغاير لما وقع به الاشتراك، فيكون كل واحد منهما مشتملا على ما به الاشتراك وما به الامتياز، فيكون مركبا فيكون ممكنا)^{٤٨}،^{٤٩}،^{٥٠}، وهنا يلتقي برهان العقل بلسان الشرع في إثبات الوحدة المطلقة لله سبحانه وتعالى. ومن خواص الواجب السرمدية، أي لا يجوز عليه العدم وذلك لان (وجوب وجوده لذاته، وواجب الوجود لذاته يستحيل عليه العدم وإلا لكان ممكنا)^{٥١}، فالسرمدية ملازمة لصفة الوجوب لذاته، وإلا لم يكن واجبا فيصير الواجب ممكنا وهو محال^{٥٢}،^{٥٣}.

٤٤ ديناني، القواعد الفلسفية، الجزء الأول ٢١٢.

٤٥ الحيدري، كمال، شرح نهاية الحكمة، ط ١ (بيروت، لبنان: منشورات الرضا، ٢٠١٠م)، الجزء الأول ١٧٠.

٤٦ الحيدري، ١٦٥-٦٦.

٤٧ الطباطبائي، بداية الحكمة، ٥٨-٥٩.

٤٨ الحلي، نهاية المرام في علم الكلام، الجزء الأول ١٠١.

٤٩ الحلي، كشف المراد، ٤٠٥.

٥٠ الحلي، مناهج اليقين في اصول الدين، ٢٨٩.

٥١ الحلي، كشف المراد، ١٢٤ و ٤٠٤.

٥٢ الفارابي، ابو نصر، رسالتان فلسفتان، تحقيق. ابو نصر آل ياسين، ط ١ (دار المناهل، ١٩٨٧م)، ٨٥.

٥٣ عفيفي، زينب، الفلسفة الطبيعية والالهية عند الفارابي، د.ط. (الاسكندرية: دار الوفاء، ٢٠٠٢م)، ٢٩٠.

والعلامة الحلي يناقش هذه المسألة باستفاضة في كتابه نهاية المرام، محللا مفاهيم الوجوب والإمكان، والعلة والمعلول، والقدم والحدوث، وناقضا للإشكالات المثارة أو المفترضة على فكرة سرمدية القديم لذاته الذي هو واجب الوجود لذاته^{٥٤}، فالمقدمات والبراهين الفلسفية تحكم بسرمدية الواجب، وقد قرر الفلاسفة هذه الحقيقة بأكثر من صيغة منها، "ما ثبت قدمه امتنع عدمه"^{٥٥}، و"كل ازلي لا يمكن أن يفسد"^{٥٦}.

والخواص الذاتية للواجب كثيرة منها أيضا: انه ليس في جهة، ولا متحيز، ولا ضد له، ولا حالا، ولا متحدا^{٥٨}، وغيرها.

وعلى وفق المباني الفلسفية فإن من الصفات الذاتية للحق تعالى أنه معدن الخير والجمال، وبراءته من الشر، فليس للشر سبيل إلى ساحته المقدسة؛ لأن الشر عدم، وهو ما لا يمكن ان يتطرق اليه سبحانه لا العدم المطلق ولا النسبي، بحكم وجوده الواجب، فقد ذهب الفلاسفة إلى أن الوجود خير محض والعدم شر، فإن الخير كمال يحصل للشيء، والشر فقدان لذلك الكمال، ولا ريب فإن كل وجود هو كمال للماهية المتصفة به، وكل عدم فقدان كمال للماهية التي نسب إليها، ولذا كان واجب الوجود تعالى أبلغ في الخيرية والكمال من كل موجود، لبراءته من القوة والاستعداد وتفاوت غيره من الموجودات فيه باعتبار القرب من العدم والبعد عنه^{٥٩}، ف(وجوب الوجود يدل على ثبوت الخيرية لله تعالى، لان الخير عبارة عن الوجود، والشر عبارة عن عدم كمال الشيء من حيث هو مستحق له، وواجب الوجود يستحيل أن يعدم عنه شيء من الكمالات فلا يتطرق إليه الشر بوجه من الوجوه فهو خير محض)^{٦١}، وسيأتي مزيد تفصيل لهذه المسألة لاحقا.

٥٤ الحلي، نهاية المرام في علم الكلام، الجزء الأول ٢٣٢-٢٣٨.

٥٥ ديباني، القواعد الفلسفية، الجزء الأول ١٦٣.

٥٦ الموسوي، القواعد الفلسفية، ٦.

٥٧ الموسوي، ٦.

٥٨ الحلي، كشف المراد، ٤٠٦_٤٠٧.

٥٩ الحلي. كشف المراد، ٤٢.

٦٠ القزويني، نجم الدين، ايضاح المقاصد من حكمة عين القواعد، شرح. الحسن بن يوسف الحلي، د.ط. (ايران: مطبعة دانشگاه، ١٩٥٩)، ١٩.

٦١ الحلي، كشف المراد، ٤١٥.

فإذن لا سبيل إلى أي زيادة أو تركيب في حق الله تعالى، ومن هنا يرفض العلامة الخلي آراء المعتزلة والأشاعرة في هذا الموضوع، ويرد على هذه المدارس فيقول مؤسساً على المباني الفلسفية: (وهذه المذاهب كلها ضعيفة، لأن وجوب الوجود يقتضي الاستغناء عن كل شيء، فلا يفتقر في كونه قادراً إلى صفة القدرة ولا في كونه عالماً إلى صفة العلم... لكن تلك الصفات نفس الذات في الحقيقة وإن كانت مغايرة لها بالاعتبار)^{٦٢}.

فإذن الصفات الالهية عين ذات الواجب المقدسة، وإلا لزم تركبه من وجدان وفقدان، وهو خلف، لكونه بسيطاً صرفاً غير مركب، كما تقدم، ووحدته وحدة حقيقية لا عددية^{٦٣}.

المطلب الرابع: أفعال الحق سبحانه وتعالى

أفعال الحق سبحانه وتعالى هي ما تتعلق بالخلق والإيجاد، وهذا باب واسع في مبحث الالهيات الاسلامية، ولذا سيكتفي الباحث بالوقوف عند مسائل محددة من هذا الموضوع، تبين أثر المباني الفلسفية في الفكر الكلامي المتأخر، وحسبها تقتضيه طبيعة البحث.

ولعل مسألة خلق العالم وإيجاده وطبيعة ارتباطه بخالقه، من أوائل المسائل الاساسية في هذا الباب التي عني بها من قبل كل من الفلسفة الاسلامية وعلم الكلام، وقد جهد الاتجاه العقلي في الاسلام كلاماً وفلسفة في ايجاد تحليل عقلي لهذه العلاقة، وهنا سوف نقف عند مسألة سر ارتباط العالم بخالقه من جهة العالم، لذا اقتضى الامر تحليل طبيعة ارتباط المعلول بعلة للكشف عن نوع هذا الارتباط بين العالم وخالقه، فكيف نفسر تعلق العلة بمعلولها وما سر هذا الاحتياج؟

وقد قدمت أكثر من إجابة على هذا التساؤل، فذهب المتكلمون إلى أن سبب الاحتياج هو الحدوث^{٦٤ ٦٥}، والأشياء بسبب حدوثها تحتاج إلى علل لإيجادها، فالقديم غير محتاج إلى علة ولكن المحدث هو من يحتاج العلة لتخرجه من العدم إلى الوجود، فالقديم لا يحتاج إلى علة، لان ما لم يكن ثم كان نسأل عن علته، واما ما لم يزل قديماً، فلا معنى لان نسأل عن علته، فالله غني من جهة قدمه،

٦٢ الخلي، كشف المراد. ٤١٠.

٦٣ الخيدري، كمال، دروس في التوحيد، ط ١ (قم، ايران: دار فرقد، ٢٠١١م)، ٧٠.

٦٤ الخلي، نهاية المرام في علم الكلام، الجزء الثاني ١٥٣.

٦٥ الخلي، كشف المراد، ٧٨.

ويترتب على ذلك نتيجة حرجة وهي أن لا مانع عقليا من فك الارتباط بين الله وبين خلقه، والله إذ لا يفعل ذلك فلدواع أخلاقية لا لمانع عقلي، ومعنى ذلك أن العالم يحتاج خالقه في إحداثه فقط أما بعد ذلك فيستغني عنه، فينقلب الممكن واجبا، اذ ليس معنى الواجب سوى المستغني في وجوده عن السبب، فإذا كان لذاته فهو محال، لاستحالة تعدد الواجب لذاته، وان كان واجبا لغيره ولتحقق علته فهو المطلوب^{٦٦}.

فلا بد اذن من تبني تحليل آخر لعلاقة المعلول بعلة يتلافى الاشكال المتقدم، وهذا التحليل قدمته الفلسفة وتبناه متأخرو المتكلمين، ومفاده أن احتياج المعلول لعلة سببه الإمكان والفقر الوجودي، فالمعلول لا وجود له أصلا من دون علته فهو متعلق تمام التعلق بها ولا يتصور انفكاكه عنها أبدا، ولذا فحاجة العالم إلى خالقه ابتداء ودواما؛ لأنه فقير إليه دوما ولا غنى للعالم عن خالقه سبحانه^{٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣*}، بل إن العلامة الحلي يرى أن هذه المسألة من المسائل الضرورية التي لا يحتاج معها إلى برهان، (وخفاء هذا التصديق عند بعض العقلاء لا يقدر في ضروريته؛ لان الخفاء في الحكم يسند إلى خفاء التصور لا الخفاء في نفسه)^{٧٤}، ويرى العلامة أن من فوائد هذه المسألة إثبات القدرة المطلقة للواجب، فإذا كان الامكان هو سر احتياج المعلول إلى علته، فهو أيضا الدليل على عموم قدرة الله تعالى، لان (المقتضى لكون الشيء مقدورا هو امكانه، والامكان مشترك بين الكل، فتكون صفة المقدورية أيضا مشتركة بين الممكنات)^{٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨}.

٦٦ الحلي، نهاية المرام في علم الكلام، الجزء الثاني ١٥٧.

٦٧ الحلي، نهاية المرام في علم الكلام، الجزء الثاني ١٥٣-١٥٤.

٦٨ الحلي، كشف المراد، ٧٨.

٦٩ الموسوي، القواعد الفلسفية، ٢٥.

٧٠ مطهري، اصول الفلسفة والمنهج الواقعي، الجزء الثاني ٢٥٠.

٧١ الطباطبائي، بداية الحكمة، ٢٠٣.

٧٢ الصدر، محمد باقر، فلسفتنا، ط ٤ (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٣م)، ٢٩٤.

٧٣ الألوسي، حسام، حوار بين الفلاسفة والمتكلمين، ط ٢ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠م)، ٩٣.

٧٤ الحلي، كشف المراد، ١١٤.

٧٥ الحلي، حسن بن يوسف، الباب الحادي عشر، تحقيق مهدي محقق، د. ط. (مشهد المقدسة، د. ت) ١١-١٢.

٧٦ الحلي، الحسن بن يوسف، نهج الحق وكشف الصدق، ط ٤ (قم، إيران: منشورات دار الهجرة، ١٤١٤هـ)، ٥٣.

٧٧ الحلي، الحسن بن يوسف، معارج الفهم في شرح النظم، تحقيق عبد الحليم عوض الحلي، ط ١ (إيران: مطبعة نكارش، ١٤٢٨هـ)، ٢٣٨.

٧٨ الحلي، مناهج اليقين في اصول الدين، ٢٢٥.

* يرى الألوسي ان المتكلمين المتأخرين مالوا إلى رأي الفلاسفة

ويلزم من دوام احتياج المعلول إلى علته، دوام الفيض الذي يمد الاشياء بوجودها، ويعطيها كمالها، وهذا الامر تتفرع منه نتائج كثيرة في إثبات افعاله تعالى، منها العدل الالهي فد(العدالة من شؤون فاعلية الله جل وعلا، أي من صفات الفعل لا من صفات الذات)^{٧٩} ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤، واثبات العدل من المنظور الفلسفي يختلف عن طريقة المتكلمين، ففي الوقت الذي يستدل المتكلمون فيه لاثبات العدل بقبح الظلم ولوازم الظلم من الحاجة والجهل، وجميعها منفية في حقه تعالى^{٨٥}، يستند البرهان الفلسفي إلى نفس الوجود الواجب في إثبات العدل، فيما أن واجب الوجود واجب من جميع الجهات، وانه دائم الفيض والوجود، لزم أن يشمل فيضه الجميع، كل حسب استعداده وقابليته، فالعدل هو رعاية الاستحقاقات والاهلية في افاضة الوجود، وعدم الامتناع عن الافاضة، وانزال الرحمة على ما يتوفر فيه امكان ايجاد الموجودات أو كمال ايجادها^{٨٦}، (فانما تنال الاشياء من العطية الالهية، بقدر قابليتها واستعداداتها، وتختلف باختلاف الاستعدادات، والظروف والواعية)^{٨٧}، كعدله في اعطاء الاشياء اوصافها بحسب استعدادها الذاتي واوصافها الجبليّة^{٨٨}، ولذا فان التمايز بين موجودات هذا النظام لا يؤثر على ظلم أو بخل بحقه تعالى، وإنما ذلك من جهة اهليتها وسعتها الوجودية لتلقي الفيض من مبدأ الوجود، والله تعالى هو الكمال المطلق والفيض على الاطلاق ولذلك فهو يعطي كل موجود ما هو ممكن له من الوجود وكمال الوجود^{٨٩}.

ومن المسائل المرتبطة بالفعل الالهي ودخلت عليها الاشكالات مسألة وجود الشر في العالم، فاذا كان الله تعالى خيرا على الاطلاق، بل هو منبع الخير ومعدنه، وكل كمال مترشح منه، فكيف يخلق

٧٩ الخلي، الحسن بن يوسف، الرسالة السعدية، تحقيق: عبد الحسين محمد، ط ١ (قم المقدسة، ١٣١٠هـ)، ٥٦.
 ٨٠ الخلي، الحسن بن يوسف، تسليك النفس الى حظيرة القدس، تحقيق: فاطمة رضائي، ط ١ (قم، إيران: مؤسسة الامام الصادق، ١٤٢٦هـ)، ١٦٦.
 ٨١ بدوي، عبد الرحمن، مذاهب الاسلامين، ط ١ (بيروت، لبنان: دار العلم للملايين، ١٩٧١م)، الجزء الأول ٦٠.
 ٨٢ السبحاني، جعفر، الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل، ط ٤ (قم: مؤسسة الامام الصادق، ١٤١٧هـ)، الجزء الأول ٢٨٧ و الجزء الثاني ٢٥٣.
 ٨٣ السبحاني، جعفر، بحوث في الملل والنحل، ط ٢ (قم: مؤسسة الامام الصادق، ١٤٢٤هـ)، الجزء السادس ٢٣٩.
 ٨٤ الفضلي، عبد الهادي، خلاصة علم الكلام، ط ٢ (بيروت، لبنان: دار المؤرخ العربي، د.ت. ١٤٠).
 ٨٥ مطهري، مرتضى، العدل الالهي، د.ط. (لبنان - بيروت: دار الحوراء، د.ت) ١٠١.
 ٨٦ مطهري، ٩٨.
 ٨٧ الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ط ١ (بيروت، لبنان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٩٧م)، الجزء الحادي عشر ٣٤٠.
 ٨٨ حمية، خنجر، العرفان الشيعي، ط ١ (لبنان - بيروت: دار الهادي، ٢٠٠٨م)، ٦٠٠.
 ٨٩ مطهري، العدل الالهي، ٩٠.

انواع الشرور، بكل ما تحمله من أذى ومعاناة للإنسان بل لغيره أيضا، ولو كانت الشرور نقصا لنقضت أصل العدل الإلهي، بل لتنافت مع التوحيد المطلق لله تعالى، الذي يقتضي كمال الله المطلق، فضلا عن اشكالات أخرى كثيرة تترتب على الاقرار بمشكلة وجود الشر، لذا اهتم المتكلمون بالإجابة على هذه المشكلة بإجابات مفصلة، وتحت ابواب كثيرة من موضوعات العقائد وعلم الكلام، مثل العدل الإلهي، والقدرة، والحكمة، وعند الحديث عن دليل النظام لإثبات الخالق، وغيرها، ولكنها اجابات بقي ينقصها الكثير من العمق العقلي البرهاني، بمعنى هي تصلح لمخاطبة المسلم أو المعتقد بالكمالات الإلهية فتحيله هذه الاجابات على تلك الصفات، كأن تحيله إلى حكمة الله أو عدله، أما غير المعتقد بالصفات الكمالية فقد تقصر الأدلة الكلامية عن إقناعه.

ولذا يبقى البرهان الفلسفي هو الاقدر على الاجابة على إشكالية وجود الشر بدليل برهاني، عن طريق تحليل مفهوم الشر، والكشف عن اعتبارية هذا المفهوم، بمعنى أن لا وجود للشر وجودا عينيا حقيقيا في هذا العالم، وعندها ينتفي الاشكال من اساسه، لان الشرور إذا كانت مسائل عدمية فهي لا ترتبط بالإيجاد، ومن ثم فلا تحسب على الفعل الإلهي، يقول العلامة الحلي متبنيا مسلك الفلاسفة بهذا الشأن: (فان الخير هو كمال يحصل للشيء، والشر هو فقدان ذلك الكمال، ولا ريب أن كل وجود فانه كمال للماهية المتصفة به، وكل عدم فانه فقدان كمال للماهية التي نسب اليها)^{٩٠}، ويقول الشيرازي: (إن الشر لا ذات له بل هو أمر عدمي، أما عدم ذات أو عدم كمال ذات)^{٩١}.

فالرأي الفلسفي بهذا الشأن أن الشر لا وجود عينيا له، وإنما هو انعدام الوجود وانحساره، فلا يكون الشر من فعل الله سبحانه، لان فعله متعلق بالوجود فقط، ولتحليل هذه المسألة ينبغي اولا تحليل حقيقة هذه الشرور، فقول الفلاسفة لا يفهم منه انكار ما يعرف بالشر في هذا العالم، ووجود الشرور أمر وجداني يدركه كل عاقل، وإنما المراد بيان انها ليس لها وجود حقيقي يستند إلى فيض الله تعالى وإيجاده.

ان وجود الشرور ناشئ عن محدودية المادة والتراحم في عالم الطبيعة، فهو عرض ملازم لهذا النظام ملازمة الظل للنور، مع أن الظل في الحقيقة هو انعدام النور، فالوجود أصالة للنور وللظل بالتبع.

٩٠ القزويني، ايضاح المقاصد من حكمة عين القواعد، ١٩.

٩١ الشيرازي، محمد بن ابراهيم صدر الدين، الحكمة المتعالية في الاسفار العقلية الاربعة، ط ٣ (قم: طليعة النور، ١٤٣٠هـ)، ٦٠.

ثم أن الشرور في العالم لما كانت مرتبطة بالحوادث الواقعة مكتنفة بها كانت اعداما مضافة لا عدما مطلقا، فلها حظ من الوقوع والوجود، كأنواع الفقد والنقص والموت والفساد الواقعة في الخارج الداخلة في النظام العام الكوني، ولذلك كان لها مساس بالقضاء الالهي الحاكم في الكون لكنها داخلة في القضاء بالعرض لا بالذات^{٩٢}.

وبيان آخر قد يحدث بين الموجودات التي تتمتع بأبعاد وشؤون مختلفة، أو اجزاء وقوى متعددة، تتراحم بين كمالاتها أو أسباب حصولها، وفي هذه الصورة يكون كمال كل جزء أو قوة خيرا لنفسه، ومن جهة مزاحمته لكمال قوة أخرى يصبح شرا بالنسبة لتلك القوة، وحاصل الكمالات والنقائص للأجزاء والقوى يعتبر خيرا أو شرا لنفس ذلك الموجود، ويصدق هذا البيان أيضا لمجموع العالم المادي، الذي يشتمل على موجودات متزاحمة، أي أن كون العالم خيرا هو أن يكون بمجموعه واجدا لكمالات أكثر وأرفع، وان كانت بعض الموجودات لا تنال الكمال الذي تحتاج إليه وهذا شر بالنسبة لها^{٩٣}.

فاذا كانت الشرور امورا عدمية فلا معنى لنسبتها إلى فعل الحق سبحانه، فلا يصح أن نقول انه خالق للشر، وان بقي استفهام فرعي، وهو لم خلق العالم على هذه الصورة المقتضية لوجود الشرور ولو بشكل عرضي، ولم لم يكن العالم خاليا من ذلك والله القادر على كل شيء سبحانه؟

وهنا لا بد من الالتفات أن كل ما تقدم من صفات التزاحم والتضاد في صفات المادة والعالم، هي من الخصائص الذاتية لهذه النشأة، بحيث لو تبدل هذه الصفات لتبدلت كل النشأة، ولم تعد نشأة الحياة الدنيا، وبما أن حكمة الله البالغة ومقتضى دوام فيوضاته تقتضيان وجود هذه الحياة فلا بد اذن ان توجد بها هي عليه، يقول مصباح اليزدي: (اذن يدور الامر بين أن يوجد العالم المادي بهذا النظام أو لا يوجد اطلاقا، لكنه علاوة على كون الفياضية الالهية المطلقة تقتضي ايجاده، فان ترك ايجاده يعتبر خلاف الحكمة أيضا، لان خيراته اكثر بمراتب من شروره)^{٩٤}.

٩٢ حسين، الميزان في تفسير القرآن، الجزء الثالث عشر ١٨٣.

٩٣ اليزدي، محمد تقي مصباح، المنهج الجديد في تعليم الفلسفة. ترجمة محمد عبد المنعم الخاقاني، د.ط. (بيروت، لبنان: دار التعارف للمطبوعات، ٢٠٠٧م)، الجزء الثاني ٤٥٤.

٩٤ اليزدي، الجزء الثاني ٤٥٦.

الخاتمة

قد خلص البحث إلى عدة نتائج أهمها

أولاً: تتداخل العلوم العقلية في الفكر الإسلامي وخاصة في مجالات الفلسفة وعلم الكلام وأصول الفقه، فدخلت الأفكار الفلسفية في الكثير من الأسس والمباني الكلامية ومباحث أصول الفقه، وتجل هذا التداخل في نتائج مجموعة من العلماء المسلمين المشتغلين على هذه العلوم.

ثانياً: يعد العلامة الحلي من الأقطاب الذين بلغ التداخل في العلوم العقلية عندهم ذروته، وخاصة فيما بين الفلسفة والكلام، بعد أن مرت العلاقة بين الحقلين، في مراحل متعددة من التطور، حتى انتهى إلى ما يعرف بعلم الكلام الفلسفي، إذ تنصهر المباني الفلسفية إلى جانب الكلامية في المنظومة العقديّة.

ثالثاً: إن تناول المباني الفلسفية عند العلامة، جاء ليدل على اعتماد العلامة الحلي للدليل فيما يتبنى ويرجح من آراء، وعدم الانحياز إلى مشرب معرفي معين أو التعسف في القبول والرفض بناء على مقولاته ومبنياته.

رابعاً: حضور الدليل الفلسفي بقوة في إثبات الخالق سبحانه وتعالى، منطلقاً من برهان الامكان وقد ترتب على ذلك نتائج مهمة، ترتبط بالتوحيد والصفات.

خامساً: أثبتت المباني الفلسفية، صفات الكمال لله سبحانه وتعالى وتنزهه عن صفات النقص، بحكم اللوازم العقلية لمفهوم واجب الوجود، كما اثبتت دقة نظرية وحدة الذات والصفات وعينيتهما.

سادساً: اعتماداً على الأسس الفلسفية، برهن العلامة على لزوم دوام احتياج العالم لله سبحانه وتعالى، وأنه لا يمكن أن ينفك عنه طرفة عين أبداً، بناء على نظرية الفقر الوجودي للمعلول، وعدم استغناء المعلول عن علته.

سابعاً: تم تحليل مشكلة وجود الشر في العالم، وذلك عبر بيان أن الشرور أمور عدمية، ولا تعلق لها بفعله سبحانه وتعالى، بل إن طبيعة عالم التزاحم يقتضي وجود التعارضات، وهي خيارات في حد ذاتها، وتكون شروراً بالعرض أي نتيجة مزاحمتها لموجود آخر.

- المصادر
القرآن الكريم.
- ابن سينا، الحسين بن علي. الاشارات والتنبيهات. تحقيق سليمان دنيا. ط ٣. مصر: دار المعارف، ١٩٨٥م.
- الالوسي، حسام حوار. حوار بين الفلاسفة والمتكلمين. ط ٢. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠م.
- الايحي، عبد الرحمن عضد الدين. المواقف في علم الكلام. د. ط. بيروت، لبنان: عالم الكتب، د. ت.
- الجابري، علي حسن. الفكر السلفي عن الشيعة الاثنا عشرية. ط ٣. بيروت، لبنان: دار السلام، ٢٠١٥م.
- الجابري، محمد عابد. بنية العقل العربي. ط ٩. بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٩م.
- الحلي، الحسن بن يوسف. الباب الحادي عشر. تحقيق مهدي محقق. د. ط. مشهد المقدسة، د. ت.
- الرسالة السعدية. تحقيق عبد الحسين محمد. ط ١. قم المقدسة، ١٣١٠هـ.
- تسليك النفس الى حظيرة القدس. تحقيق فاطمة رمضاني. ط ١. قم، ايران: مؤسسة الامام الصادق، ١٤٢٦هـ.
- كشف المراد. تحقيق حسن زاده املي. ط ١٥. ايران: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٣٥هـ.
- معارض الفهم في شرح النظم. تحقيق عبد الحليم عوض الحلي. ط ١. ايران: مطبعة نكارش، ١٤٢٨هـ.
- مناهج اليقين في اصول الدين. تحقيق قسم الكلام في مجمع البحوث الاسلامية. ط ٢. قم، ١٤٣٠هـ.
- نهاية المرام في علم الكلام. تحقيق فاضل العرفان. ط ٢. قم، ايران: مؤسسة الامام الصادق، ١٤٣٠هـ.
- نهج الحق وكشف الصدق. ط ٤. قم، ايران: منشورات دار الهجرة، ١٤١٤هـ.
- الحيدري، كمال. دروس في التوحيد. ط ١. قم، ايران: دار فرقد، ٢٠١١م.
- شرح نهاية الحكمة. ط ١. بيروت، لبنان: منشورات الرضا، ٢٠١٠م.
- الرازي. المباحث الشرقية. تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي. ط ١. قم، ١٤٢٨هـ.
- السبحاني، جعفر. الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل. ط ٤. قم: مؤسسة الامام الصادق، ١٤١٧هـ.
- بحوث في الملل والنحل. ط ٢. قم: مؤسسة الامام الصادق، ١٤٢٤هـ.
- الشيرازي، محمد بن ابراهيم صدر الدين. الحكمة المتعالية في الاسفار العقلية الاربعة. ط ٣. قم: طليعة النور، ١٤٣٠هـ.
- الصدر، محمد باقر. فلسفتنا. ط ٤. بيروت: دار الفكر، ١٩٧٣م.
- الطباطباتي، محمد حسين. الميزان في تفسير القرآن. ط ١. بيروت، لبنان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٩٧م.
- الطباطباتي، محمد حسين. بداية الحكمة. تحقيق عباس علي الزراعي السيزواري. د. ط. مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٩هـ.
- الفارابي، ابونصر. رسالتان فلسفيتان. تحقيق ابونصر آل ياسين. ط ١. دار المناهل، ١٩٨٧م.
- الفارابي، سعيد زايد. سلسلة نوايغ الفكر العربي. ط ٣. مصر: دار المعارف، ٢٠٠١م.
- الفضلي، عبد الهادي. خلاصة علم الكلام. ط ٢. بيروت، لبنان: دار المؤرخ العربي، د. ت.

- القزويني، نجم الدين. ايضاح المقاصد من حكمة عين القواعد. شرح الحسن بن يوسف الحلبي. د.ط. ايران: مطبعة دانشگاه، ١٩٥٩م.
- المدن، علي. تطور علم الكلام الإمامي. د.ط. بغداد: مركز دراسات فلسفة الدين، ٢٠١٠م.
- الموسوي، موسى. القواعد الفلسفية. د.ط. بغداد: الدار العربية للطباعة، ١٩٧٨م.
- اليزدي، محمد تقى مصباح. المنهج الجديد في تعليم الفلسفة. ترجمة محمد عبد المنعم الخاقاني. د.ط. بيروت، لبنان: دار التعارف للمطبوعات، ٢٠٠٧م.
- بدوي، عبد الرحمن. مذاهب الاسلامين. ط١. بيروت، لبنان: دار العلم للملايين، ١٩٧١م.
- حمية، خنجر. العرفان الشيعي. ط١. لبنان - بيروت: دار الهادي، ٢٠٠٨م.
- ديناني، غلام حسين. القواعد الفلسفية. تحقيق عبد الرحمن العلوي. د.ط. منشورات الزهراء، ١٤٣٠هـ.
- . حركة الفكر الفلسفي في العالم الاسلامي. ط٢. بيروت، لبنان: دار الهادي، ٢٠٠٨م.
- سليمان، عباس محمد حسن. الصلة بين علم الكلام والفلسفة في الفكر الاسلامي. د.ط. دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨م.
- عبد الرحمن، طه. تجديد المنهج في تقويم التراث. ط٣. بيروت، لبنان: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٧م.
- عبوديت، عبد الرسول. النظام الفلسفي. تحقيق علي الموسوي. ط١. بيروت، لبنان: مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، ٢٠١٠م.
- عفيفي، زينب. الفلسفة الطبيعية والاهلية عند الفارابي. د.ط. الاسكندرية: دار الوفاء، ٢٠٠٢م.
- مطهري، مرتضى. اصول الفلسفة والمنهج الواقعي. تحقيق عمار ابو رغيث. ط٣. بيروت، لبنان: مؤسسة ام القرى، ١٤٢١هـ.
- . العدل الالهي. د.ط. لبنان - بيروت: دار الحوراء، د.ت.

References

Holy Quran

Abdul Rahman, Taha. *Renewing the Methodology in Evaluating the Heritage*. 3rd ed. Beirut, Lebanon: The Arab Cultural Center, 2007.

Abudiyat, Abdul Rasul. *The Philosophical System*. Authenticated by Ali Al-Musawi. 1st ed. Beirut, Lebanon: Center for Civilization for the Development of Islamic Thought, 2010 AD.

Affifi, Zainab. *Natural and Divine Philosophy in Al-Farabi*. Alexandria: Dar Al-Wafa, 2002 AD.

Al-Alusi, Hussam Hawar. *Dialogue Between Philosophers and Theologians*. 2nd ed. Beirut: The Arab Foundation for Studies and Publishing, 1980.

Al-Ayji, Abdul Rahman Adad Al-Din. *Attitudes in Theology*. Beirut, Lebanon: World of Books.

Al-Fadhli, Abdul Hadi. *Summary of Theology*. 2nd ed. Beirut, Lebanon: Dar Al-Mu'arrikh Al-Arabi.

Al-Farabi, Abu Nasr. *Two Philosophical Letters*. Authenticated by Abu Nasr Al-Yasin. 1st ed. Dar Al-Manahil, 1987 AD.

Al-Farabi, Sa'eed Zayed. *Series of Arab Intellectual Geniuses*. 3rd ed. Egypt: Dar Al-Maarif, 2001 AD.

Al-Haidari, Kamal. *Explanation of the End of Wisdom*. 1st ed. Beirut, Lebanon: Al-Rida Publications, 2010 AD.

Al-Haidari, Kamal. *Lessons in Monotheism*. 1st ed. Qom, Iran: Dar Farqad, 2011 AD.

Al-Hilli, Al-Hassan bin Yusuf. *Ascensions of Understanding in Explaining the Verses*. Authenticated by Abdul Halim Awad Al-Hilli. 1st ed. Iran: Nakarash Printing House, 1428 AH.

Al-Hilli, Al-Hassan bin Yusuf. *Guiding the Soul to the Sanctuary of Holiness*. Authenticated by Fatima Ramadhani. 1st ed. Qom, Iran: Imam Sadiq Foundation, 1426 AH.

Al-Hilli, Al-Hassan bin Yusuf. *Paths of Certainty in the Principles of Religion*. Authenticated by Theology Department in the Assembly of Islamic Research. 2nd ed. Qom, 1430 AH.

Al-Hilli, Al-Hassan bin Yusuf. *The Eleventh Chapter*. Authenticated by Mahdi Mahqiq. Mashhad Al-Muqaddasah.

Al-Hilli, Al-Hassan bin Yusuf. *The End of Aspirations in Theology*. Authenticated by Fadil Al-Irfan. 2nd ed. Qom, Iran: Imam Sadiq Foundation, 1430 AH.

- Al-Hilli, Al-Hassan bin Yusuf. The Path of Truth and Unveiling the Sincere. 4th ed. Qom, Iran: Dar Al-Hijrah Publications, 1414 AH.
- Al-Hilli, Al-Hassan bin Yusuf. The Sa'adian Letter. Authenticated by Abdul Hussein Mohammed. 1st ed. Qom Al-Muqaddasah, 1310 AH.
- Al-Hilli, Al-Hassan bin Yusuf. Uncovering the Intention. Authenticated by Hassan Zadeh Amoli. 15th ed. Iran: Islamic Publication Foundation, 1435 AH.
- Al-Jabri, Ali Hassan. The Salafi Thought on the Twelver Shi'a. 3rd ed. Beirut, Lebanon: Dar Al-Salam, 2015.
- Al-Jabri, Mohammed Abed. The Structure of the Arab Mind. 9th ed. Beirut, Lebanon: Center for Arab Unity Studies, 2009.
- Al-Madn, Ali. Development of Imamate Theology. Baghdad: Center for Philosophy of Religion Studies, 2010 AD.
- Al-Musawi, Musa. The Philosophical Principles. Baghdad: Arab House for Printing, 1978 AD.
- Al-Qazwini, Najm Al-Din. Clarification of the Objectives from the Wisdom of the Fundamentals. Explained by Hassan bin Yusuf Al-Hilli. Iran: Dane-shkadeh Printing House, 1959 AD.
- Al-Razi. Eastern Discussions. Authenticated by Muhammad Al-Mu'tasim Billah Al-Baghdadi. 1st ed. Qom, 1428 AH.
- Al-Sadr, Muhammad Baqir. Our Philosophy. 4th ed. Beirut: Dar Al-Fikr, 1973 AD.
- Al-Shirazi, Muhammad bin Ibrahim Sadr al-Din. Supreme Wisdom in the Four Intellectual Journeys. 3rd ed. Qom: Vanguard of Light, 1430 AH.
- Al-Subhani, Ja'far. Research in Sects and Nations. 2nd ed. Qom: Imam Sadiq Foundation, 1424 AH.
- Al-Subhani, Ja'far. Theology Guided by the Book, Sunnah, and Reason. 4th ed. Qom: Imam Sadiq Foundation, 1417 AH.
- Al-Tabataba'i, Muhammad Husayn. The Beginning of Wisdom. Authenticated by Abbas Ali Al-Zarai Al-Sabzawari. Islamic Publishing Foundation, 1419 AH.
- Al-Tabataba'i, Muhammad Hussein. Al-Mizan in the Interpretation of the Qur'an. 1st ed. Beirut, Lebanon: Al-'Alami Foundation for Publications, 1997 AD.
- Al-Yazdi, Muhammad Taqi Misbah. The New Approach to Teaching Philosophy. Translated by Muhammad

- Abdul Mun'im Al-Khaqani. Beirut, Lebanon: Dar Al-Ta'aruf for Publications, 2007 AD.
- Badawi, Abdul Rahman. Doctrines of Muslims. 1st ed. Beirut, Lebanon: Dar Al-'Ilm Lilmalayin, 1971 AD.
- Dinani, Gholam Hussein. The Movement of Philosophical Thought in the Islamic World. 2nd ed. Beirut, Lebanon: Dar Al-Hadi, 2008 AD.
- Dinani, Gholam Hussein. The Philosophical Principles. Authenticated by Abdul Rahman Al-Alawi. Al-Zahra Publications, 1430 AH.
- Hamia, Khanjar. Shia Mysticism. 1st ed. Lebanon - Beirut: Dar Al-Hadi, 2008 AD.
- Ibn Sina, Al-Hussein bin Ali. The Remarks and Admonitions. Authenticated by Sulaiman Dunia. 3rd ed. Egypt: Dar Al-Maarif, 1985.
- Mutahhari, Morteza. Divine Justice. Beirut, Lebanon: Dar Al-Hawra.
- Mutahhari, Morteza. The Principles of Philosophy and the Realistic Method. Authenticated by Ammar Abu Ragheef. 3rd ed. Beirut, Lebanon: Umm Al-Qura Foundation, 1421 AH.
- Sulaiman, Abbas Muhammad Hassan. The Relationship between Theology and Philosophy in Islamic Thought. Dar Al-Ma'arifa Al-Jami'ah, 1998 AD.